

المنهج التعليمي لسيدي محمد بن عمر الهواري

ط . ياسين عزيزو / أ. د قلايلية العربي

جامعة وهران 1

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين أما بعد.

لقد اشتهرت الحواضر العلمية باحتضانها للعلماء الذين ميزوها بمكانة علمية وحضارية، جعلت من أسمائهم أبحادا لامعة في سماءها، ومن أبرز هذه الحواضر مدينة وهران التي عرفت بالنشاط العلمي والثقافي والتي من روادها العالم الجليل سيدي محمد بن عمر الهواري الذي كان مجلسه محفلا لطلبة العلم في كثير من البلدان، فدرس ودرس بفاس والمدينة المنورة وفلسطين والشام وغيرها من البلدان، ليستقر به المقام في مدينة وهران متخذًا المسار العلمي والتعليمي وكذا التربوي فكان مصدرا للتعليم والتدريس وتلقين الأذكار، مما جعل الطلبة تفد إليه من شتى الجهات.

فما هو منهجه في التعليم والتربية؟ وما هي وسائله وبرامجه التعليمية؟ وإلى أي مدى حقق الشيخ أهدافه وغاياته؟

في إطار هذه الدراسة يمكن أن نقسم طبقات المتعلمين إلى أربع مستويات لكل مستوى طريقة ومنهج تعليمي.

المستوى الأول : خاص بالعامّة.

يقوم منهجه التعليمي الخاص بالعامية على نشر الوعي بالوعظ ، والثقافة الاسلامية، مستخدما لغة عامية يفهمها الجميع انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (سورة إبراهيم الآية 4)، فالأساس عنده هو البيان باللغة البسيطة التي يفهمها عامة الناس، هذا من جهة لغة الخطاب ومن جهة أخرى فإنه يركز على ما يحتاجه عامة الناس أو ما يسمى بالضروري من علوم الدين، فيوضح لهم أحكام الطهارة ، والصلاة، والعبادات، وأحكام المعاملات، مع تحفيظهم لبعض الأذكار، والأدعية التي تهم عامة الناس، دون أن ينسى مجالا مهما يركز عليه الشيخ خلال دروسه ألا وهو تهذيب الأنفس وتركيتها بالأخلاق والسلوك، مع إجابته على تساؤلاتهم الفقهية على اختلافها¹

المستوى الثاني: خاص بالمبتدئين

يقوم هذا المنهج على التدرج في التعليم، وخصصه الإمام سيدي الهواري للصبيان، فكان يحفظهم القرآن الكريم ويعلمهم القراءة والكتابة ومبادئ الدين الحنيف.

لقد ركز الإمام سيدي الهواري على هذا المستوى واعتنى به أيما اعتناء، وسهر عليه بنفسه في بادئ الأمر ليصل الطالب المبتدئ إلى الحافظ لكتاب الله سبحانه وتعالى، والملم بمبادئ الفقه، مركزا على برنامج تعليمي يتمثل في حفظ كتاب الله ، ثم يتدرج بهم في شرح منظومة في السهو من تأليفه سماها: "التنبيه في أحكام الطهارة والصلاة" مبتدئا بالتلقين وشرح المبهات ووصولا إلى تنمية ملكتهم الفقهية، وقد تأثر أحد تلامذته بهذا المنهج مما جعله ينقد كتاب السهو، وهو الكتاب الذي كان اللبنة الأولى في تكوين تلامذته، فمثلا وصول تلميذه أبو زيد عبد الرحمن مقلّاش إلى محاولة إصلاح بعض الأخطاء النحوية واللغوية الواردة في كتاب: "السهو والتنبيه" للشيخ سيدي

1- أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (ت: 1036 هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة الناشر: دار الكاتب، طرابلس - ليبيا ط2 200 ج1 ص 61.

الهوري فهذا يدل على المستوى التعليمي الذي وصل إليه تلامذته ، كما يوضح المنهج الذي سلكوه في الطلب والتلقي².

المستوى الثالث: خاص بالمريدين

شمل هذا المستوى طلبة انفردوا بالالتزام بحفظ أورد خاصة، وحزب خاص، يتعهدون بتلاوتها كل يوم أو بعد الصلاة، وعلى المريد أن يؤدي الصلاة في أوقاتها، وأن يقوم الليل أو جزءا منه ذاكرًا شاكرًا لله تعالى، وأن يطبق طريقة الشيخ سيدي الهوري، وأن يتعهد ورده ووظيفته مهما كانت الظروف، بالإضافة إلى الاجتماع بالشيخ، وزيارته والحضور لحلقات الذكر والمريدين، وأن يدعو الناس إلى الدخول في الطريقة، واتباع منهج الشيخ الذي يعتمد على ترسيخ مبادئ التصوف، وتربية المريدين بالحرص على الطهارة الظاهرة والباطنة والتزام معية الشيخ، وحضوره مع المريد بحسن توجيهه ونصحه، إذ معية الشيخ شرط في ترسيخ السلوك والتصوف كما يقول ابن عاشر³:

يصحب شيخا عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك⁴

وكثيرا ما كان يقوم منهجه التعليمي والتربوي لهذا المستوى على التحلية والتخلية

ووسيلة الشيخ في هذا المنهج إلقاء الدروس والوعظ والأذكار وتلاوة القرآن الكريم وملازمة

الأدعية وغيرها

2 - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع 2009 ج2 ص 212

3- ابن عاشر (764 هـ - 1363 م)، أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، أبو العباس: الفقيه العلامة كان ضليعا في الفقه المالكي اشتهر بمتمن ابن عاشر ويعد من أشهر الصالحين الزهاد، في المغرب. وكان على علم غزير. أصله من الأندلس ورحل إلى كتاب: الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ات المغرب فاستقر في (سلا) إلى أن توفي. 13963هـ) الناشر: دار العلم للملايين ط15 - أيار / مايو 2002 م، ج 1 ص 187.

4- محمد بن أحمد ميارة المالكي، الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)مح: عبد الله المنشاوي الناشر: دار الحديث القاهرة ج1 ص582

إن سيدي الهواري قد اعتنى بهذا المستوى لما له من مهام يقوم بها بين أوساط المجتمع وحرص الشيخ على هذا المنهج منبعث من تصوفه ولا ننسى تعبدته وخلوته التي كان يخصها لنفسه بعد ما يؤدي ما عليه من واجبات مختلفة.

المستوى الرابع : خاص بالعلماء (الخاصة)

وهذا أعلى المستويات التي يطمح إلى الوصول إليها كل طالب علم ومريد، ويشترط في هذا المتخرج أن يكون حافظا لكتاب الله تعالى، وملما بكل ماله صلة بالقرآن الكريم، فقيها وعارفا بالسيرة النبوية، ومحيطا بالمذهب المالكي أصوله وفروعه، وعارفا بالمذاهب الأخرى معرفة حسنة، فالإجازة العلمية التي يتحصل عليها الطالب ترتقي به في مصاف العلماء من أمثال الشيخ سيدي ابراهيم التازي⁵.

إن تكوين هذه الطبقة يتطلب عناية خاصة، وتوجيها دقيقا، وهذا المستوى خصص له مقررات، وبرامج وكتب متنوعة المشارب كألفية ابن مالك في النحو ومختصر خليل في الفقه وفي الحديث تدريس صحيح البخاري ومسلم والسنن كسنان الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه ويلاحظ أن منهجه مع هذا المستوى يقوم على الأسس التالية:

- مراعاة التخصص والتعمق في التعليم

- التركيز على أمهات الكتب

- التنوع في التعليم والجمع بين علوم الآلة والإسناد والفروع في الفقه⁶

5- إبراهيم التازي (1462/866) : هو إبراهيم بن محمد بن علي التازي، وكنيته أبو سالم وأبو إسحاق، درس على شيخه أبو زكريا يحيى الوزاعي، كما ارتحل إلى مكة طلبا للعلم ومصر وتونس ولتقى بأفاضل أوليائها وعلمائها، ثم عاد إلى وهران للقاء شيخه الإمام سيدي الهواري الذي خلفه في طريقته ودامت مرافقته له عشرة أعوام، ابن مريم البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، 5تحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983 ص 85.

6- أحمد التنبكي نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ج 1 ص

إن تلامذة سيدي الهواري لجيش مجهول العدد، ذلك أن الإمام أخذ عنه جم غفير من الطلبة .وقصده طلاب العلم والمعرفة والصلاح من نواحي شتى، داخل الوطن الجزائري الآن وخارجه.

إن المصادر لا تذكر لنا طلبته في مازونة، وبجاية، وفاس، وتلمسان، والأزهر، ومكة، والمدينة، وبيت المقدس، والجامع الأموي بدمشق وغيرها، وما توصلنا إليه ندرجه كآلآتي:

1. الشيخ إبراهيم التازي :وقد لازم شيخه، ثم خلفه في الولاية الروحية بعد موته في وهران ولم يغادرها إلى أن وافاه الأجل فدفن فيها، ثم نقل إلى قلعة بني راشد.
 2. الشيخ عبد الرحمن مقلّاش مصحح كتاب "السهو" في وهران.
 3. الشيخ الطاهر بن الشيخ المشرفي أخذ القراءة عليه في وهران.
 4. الشيخ العلامة أبركان ابن مخلوف المزهلي (ت857هـ) (الراشدي دفين تلمسان.
 5. الشيخ بختي بن عياد دفين غمرة قرب قرية بوتليليس في نواحي وهران.
- هذا جلّ ما ذكرته الكتب التي لها صلة بسيدي الهواري التي استطعنا الوصول إليها، ولم تحدّثنا عن طلبته وتلامذته في أقطار العالم العربي، وكان طلبة فاس يقرؤون عليه القرآن، والعربية، والفقه، ويتحدّثون أنهم ما رأوا أبرك من قراءته" هذا النص يؤكد لنا أن ما ذكر من التلامذة إلا الأقطاب منهم في الجزائر أما غيرهم وعلى مختلف المستويات لم تذكرهم المصادر لكثرتهم في العالم الإسلامي وبخاصة العالم العربي. إن التلامذة المذكورين ما ذكروا إلا لأنهم كانوا ملازمين لسيدي الهواري وإنهم عاشوا معه فترة طويلة في مدينة وهران. لم يهتم العلماء بذكر جميع تلامذة الشيخ الهواري لأسباب عدة ومتنوعة منها:

- كثرة عددهم.
- وجودهم في أقطار العالم العربي كالمغرب والجزائر، وتونس، ومصر، وليبيا، والسعودية وفلسطين وسوريا وغيرها.

- صعوبة معرفتهم والاتصال بهم، وبخاصة الأيام التي عاش فيها الإمام.
- شأن تلامذة سيدي الهواري شأن تلامذة الوقت الحاضر. فإن المعلم أو الشيخ أو الأستاذ أو المربي يعلم المئات بل الألوف من الطلبة خلال السنوات التي يعيشها وهو يزاول عمله في المدرسة، أو في الكتّاب أو في الجامعة، أو في المسجد، أو في جميعها كلها وفي غيرها من المراكز الثقافية، وبعدها ينتهي من عمله هذا لأسباب مختلفة فإنه لا يعرف من تلامذته إلا القليل، ولا يقيد أسماءهم ولا الجهة التي ينتسبون إليها. هذه الحقيقة عندنا اليوم هي نفسها صارت مع الإمام الهواري، فقد كَوّن المئات من الطلبة في أنحاء العالم العربي، وذهب. رحمه الله. وذهب معه سر تلامذته فله الأمر من قبل ومن بعد⁷.

مؤلفاته:

- إن الكتب التي ترجمت للإمام سيدي الهواري، لا تذكر له إلا كتبا ثلاثة فيما توصلنا إليه:
- كتاب "السهو": ألفه في بجاية أيام طلبه للعلم، ثم نقّحه في فاس وهو أستاذ هناك.
- كتاب "التنبيه": وهو شرح لكتاب "السهو" ألفه في بجاية، ثم نقّحه في فاس وهو أستاذ هناك.
- كتاب "التسهيل" وهو عبارة عن منظومات مختلفة بالملحون.
- شرح المنفرجة، لأبي الفضل ابن النحوي، لمحمد بن عمر الهواري الوهراني المشهور بسيدي الهواري.
- كتاب السهو وهو ما نصّ عليه مؤلفه قائلا: نَظَمَهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْبَارِي **ابْنُ عُمَرَ مُحَمَّدُ الْهُوَارِي، لقد اختار سيدي الهواري اسم "السهو" ليكون عنوانا للكتاب وهو راجع لكثرة أحكام السهو وفروعه يقول سيدي الهواري ناظما:

7 - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ج2 ص 213.

هَذَا النَّظَامُ لِتَعْلِيمِ الصَّبِيَّانِ ***رَجَزُهُ عَلَى السَّهْوِ يَا إِخْوَانِ
فَالْمَنْظُومَةُ خَاصَّةٌ لِتَعْلِيمِ الصَّبِيَّانِ لِيَصِلُوا بِوَاسْطَتِهَا إِلَى قَضَايَا السَّهْوِ.
مَوْضُوعَاتِهِ

إِنَّ الْمُطَّلَعَ عَلَى مَنْظُومَةِ السَّهْوِ لِسَيِّدِي الْهُوَارِيِّ يَجِدُهُ فِيهَا يَتَحَدَّثُ عَنْ:

- مسائل السهو.
- أقسام الصلاة وأحكامها.
- الطهارة.
- أحكام السهو.
- ودليلنا علة ما تقول الآتي:
- أبواب الكتاب
- باب في السهو) وفيه فصل واحد
- باب في أقسام السهو). وفيه فصلان
- باب في أقسام الصلاة.
- باب في سنن الصلاة.
- باب في فضائل الصلاة.
- باب في صلاة النوافل.
- باب في وجوب الصلاة.
- باب في فرائض الصلاة.
- باب في سنن الصلاة). وفيه فصل واحد

- باب في فضائل الصلاة.

- باب في مكروهات الصلاة..

إن سيدي الهواري نظم سهوه باللهجة العامية، ثم أعقبه بكتاب "التنبيه" وهو شرح للسهو باللهجة الهوارية الوهرانية. والمقصود من الكتابين هو تعليم الصبيان، ذلك أن أيام سيدي الهواري وقبله وبعده لم يؤلف كتاب خاص بالصبيان وهو يدرك هذا، وقد عانى هو نفسه عند طلبه للعلم في جامعات العالم العربي. فكانت نتيجة لهذا أنه جاء بـ "السهو" ثم بـ "التنبيه" باللغة التي يفهمها الصبي، والمبتدئ، أما مستوى وثقافة الإمام فشيء آخر فلا مجال للمقارنة بينهما، ولا مجال للحكم عليه بأن عربيته ضعيفة، وهو حكم ضرره أكثر من نفعه.

إن الطالب وإلى زمان متأخر في الأربعينيات والخمسينات من القرن العشرين عندما ينتسب إلى فاس، أو الزيتونة، أو الأزهر أو غيرها فإنه بمجرد جلوسه مع شيخه يُقدّم له كتاب ألف منذ قرون في المادة المدّسة وبلغه ذلك القرن المؤلّف بها المصدر المقدم للطالب الجديد الذي لا يعرف من العربية إلا القليل. إن هذا الطالب يفاجأ ويبقى على الهامش، ولا يفهم ما يدور بين الطالب القديم والأستاذ وبين الطالب الجديد.

قد يقضي هذا الطالب الجديد مدّة قد تكون شهورا لا يفهم شيئا ممّا يقوله الأستاذ، والسبب في هذا راجع إلى لغة التأليف هذا النظام في التدريس وفي الكتب المقررة قد عاشه الإمام في كلّ جامعة انتسب إليها.

هذا أحد الأسباب التي جعلت من سيدي الهواري أن يفكر في تأليف خاص للصبيان وللطلبة المبتدئين بلغة في مستوى المبتدئ. وهو بهذا العمل الذي قدمه للصبيان، قد يكون أول جزائري في عصره وبعده، ففكر في مستوى الصبيّ، وفي إيجاد كتاب له في مستواه، وحتى لا يبقى يدور في فلك لا حدود له وبخاصّة في سهو الصلاة.

إن هذا العمل من سيدي الهواري يعدّ في عصرنا الحالي من القضايا التربوية الهامة، لأن مستوى الدراسة تتطلّب وتفرض ما ذهب إليه سيدي الهواري، وهو لهذا العمل يكون قد أدرك ما يعانيه التلميذ أيام الطلب الأولى، فأوجد له مستوى يسير عليه، ولم يتركه يبقى في واد والأستاذ في واد آخر.

إن مؤلفات سيدي الهواري جاءت لتعين الطالب المبتدئ ولتتماشي مع المستوى المطلوب في مدرسة الإمام الوهرانية، وشتان ما بين إصلاح التعليم ومستوى سيدي الهواري المطعون في عريته.

خاتمة:

وبعد الإحاطة والاطلاع على الجوانب المعرفية والروحية في حياة الإمام سيدي الهواري نخلص إلى النتائج التالية :

- 1 . أن المنهج التعليمي للشيخ سيدي الهواري يقوم على التلقين بلغة سهلة متداولة مع القدرة على مخاطبة كل المستويات بدءاً بالعامّة وانتهاء بالعلماء.
- 2 . تنوع الوافدين من المتعلمين والمريدين مع الإحاطة بالعلوم النقلية والعقلية مع التحكم في اللغة، وسعة الاطلاع ما أنتج طبقات من المتعلمين باختلاف مستوياتهم.
- 3 - جمع الشيخ سيدي الهواري بين التدريس والذوق العرفاني والتكوين العلمي والتربوي.